المحكمة الإلهية يوم القيامة في القرآن الكريم دراسة موضوعية - مقارنة مع محاكم الدنيا

م.م. ورود جمال عايد

الملخص

إن مصير الإنسان بعد حياته، وانقضاء أجله، الموت، الذي هو حتم لازم على البشرية جمعاء، وإن ما بعد الموت ليس أسهل مما قبله، فهنالك يوم القيامة الذي سيحاكم فيه البشر أجمعون على ما فعلوه في حياتهم الدنيا، حيث يحاسبهم الله تعالى على كل قول وفعل حدث طول حياتهم، وإن إجراءات هذه المحكمة الإلهية تختلف كثيرا عما عهدناه في محاكمنا الدنيوية، وقد وصف القرآن الكريم هذه المحكمة بأوصاف كثيرة في آيات متفرقة من القرآن الكريم، وقد جاء هذا البحث لدراسة هذه الآيات الكريمة دراسة موضوعية، واستنباط مواصفات هذه المحكمة وبيان ما أورده المفسرون في تفاسيرهم، وقسمت بحثي إلى ثلاثة عشر مطلبا، على عدد صفات هذه المحكمة.

الكلمات المفتاحية: محكمة إلهية، يوم القيامة، القرآن الكريم، دراسة موضوعية، تفسير

Abstract

The fate of a person after his life, and the end of his life, is death, which is inevitable for all mankind, and that what comes after death is not easier than what came before it, for there will be a Day of Resurrection in which all mankind will be judged for what they have done in their life in this world, when God Almighty will hold them accountable for every word. And an act that happened throughout their lives, and that the procedures of this divine court are very different from what we are used to in our earthly courts, and the Holy Qur'an described this court with many descriptions in separate verses of the Holy Qur'an. The commentators mentioned it in their interpretations, and I divided my research into thirteen requirements, based on the number of characteristics of this court.

Keywords: divine judgment, the Day of Resurrection, the Holy Qur'an, objective study, interpretation

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

المقدمة

الحمد لله الذي جعل لكل شيء بداية ونهاية، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة والهداية، وعلى آله وصحبه ومن أحبه وسار على نهجه إلى آخر الدنيا والنهاية، وبعد:

فإن إن مصير الإنسان بعد حياته، وانقضاء أجله، الموت، الذي هو حتم لازم على البشرية جمعاء، وإن ما بعد الموت ليس أسهل مما قبله، فهنالك يوم القيامة الذي سيحاكم فيه البشر أجمعون على ما فعلوه في حياتهم الدنيا، حيث يحاسبهم الله تعالى على كل قول وفعل حدث طول حياتهم، وإن إجراءات هذه المحكمة الإلهية تختلف كثيرا عما عهدناه في محاكمنا الدنيوية، وقد وصف القرآن الكريم هذه المحكمة بأوصاف كثيرة في آيات متفرقة من القرآن الكريم، وقد جاء هذا البحث لدراسة هذه الآيات الكريمة دراسة موضوعية، واستنباط مواصفات هذه المحكمة وبيان ما أورده المفسرون في تفاسيرهم.

وقد اقتضت المادة العلمية تقسيم بحثي إلى ثلاثة عشر مطلبا، وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول: عدم سريّة ملفات الاتهام أو البراءة

المطلب الثاني: الحضور تحت حراسة مشددة

المطلب الثالث: استحالة وقوع الظلم

المطلب الرابع: عدم وجود جهة دفاع من المحامين

المطلب الخامس: عدم إمكانية التوسط ودفع الرشوة

المطلب السادس: لا يوجد تشابه أسماء

المطلب السابع: استلام الحكم باليد

المطلب الثامن: لا توجد أحكام غيابية

المطلب التاسع: لا يوجد استئناف و نقض

المطلب العاشر: عدم وجود شهود زور

المطلب الحادي عشر: لا توجد ملفات منسية أو مفقودة

المطلب الثاني عشر: ميزان الأعمال دقيق لا يقبل الخطأ

المطلب الثالث عشر: السرعة وعدم التأخير

واللهَ أسأل إن يحسن خاتمتي، وخاتمة قارئ هذا البحث، وجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

المطلب الأول
عدم سريّة ملفات الاتهام أو البراءة

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾.[1]

جرت العادة في المحاكم الدنية ألا يطلع المتهم - بريئا كان أو مذنبا - على أوراق التحقيق جميعِها، بل تكون محتوياتها سرية، يطلع عليها أفراد لجنة التحقيق والقاضي، والمعنيون بالأمر من المحامي وغيره، إلا أن الأمر مختلف في محكمة يوم القيامة، فالإنسان يستطيع الاطلاع على كتاب أعماله في الدنيا - خيرا أو شرا - في كتاب منشور، يذكر الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره للآية الكريمة أن الله تعالى يقول: «﴿وكلّ إنسان ألزمناه﴾ ما قضى له أنه عامله، وهو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا يفارقه، وقوله تعالى: ﴿أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ إنما هو مثل لما كانت العرب تتفاءل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها، فأعلمهم جلّ ثناؤه أن كلّ إنسان منهم قد ألزمه ربه طائره في عنقه، نحسا كان ذلك الذي ألزمه من الطائر، وشقاء يورده سعيرا، أو كان سعدا يورده جنات عدن.[2]

فالأمر مختلف تماما عما اعتاده البشر من أساليب في محاكم الدنيا، فالكتاب

(١) سورة الإسراء: ١٣.

(٢) جامع البيان للطبري: ١٧/ ٣٩٩.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

لازم للإنسان في عنقه لا يفارقه، وقد يكون المراد من الآية المعنى الظاهري، فيلتصق الكتاب المنشور بالعنق حرفيا، أو المعنى البعيد المفهوم من السياق، والمستعمل لدى بعض العرب، فأحيانا تستعمل الرقبة في كلام العرب ويراد منها المسؤولية والعاتق.

وقد اختلف القراء في قَوْله ﴿وَنخرج لَهُ يَوْم الْقِيَامَة كتابا يلقاه﴾ فَقَرَأَ ابْن عَامر وَحده (كتابا يُلَقّيه) بِضَم الْيَاء وَفتح اللاَّم وَتَشْديد الْقَاف، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (يلقاه) بِفَتْح الْيَاء وتسكين اللاَّم وَتَخْفِيف الْقَاف، وَحَمْزَة والكسائى يميلان الْقَاف.(١)

فالحجة لمن خفف: أنه جعل الفعل للكتاب والهاء للإنسان، والحجة لمن شدّد: أنه جعل الفعل لما لم يسمّ فاعله، واسمه مستتر فيه، والهاء للكتاب.(٢)

فالآية تتحدث بمجملها عن محكمة يوم القيامة، فكل انسان مسؤول عما يقول ويفعل، فجميع ما نلفظه من كلام حسنا كان او قبيحا، حمدا او سخطا – كل ذلك يُحفظ في سجل كامل: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٣) وهذا السجل سوف يعرض امام محكمة الآخرة، ليتم حساب الانسان، فيخرج له كتابه ويلقاه منشورا لا يغادر كبيرة ولا صغيرة، وكذلك أعمالنا مسجلة مثل الاقوال، وهكذا شأن ما يقترفه الانسان، وشأن الاحداث التي يعيشها، فان شريطاً كاملا لتلك الاحداث سوف يوضع بين يد كل فرد يوم القيامة حتى يقول الناس: ﴿يا ويلتنا مَالِ هذا الكتاب لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾(٤) وعندما يقدم للمحكمة يقال له: ﴿اقرأ كَتَابَكَ كفى بِنَفْسِكَ اليوم عَلَيْكَ حَسِيباً﴾.(٥)

(١) السبعة في القراءات: ٣٧٨.
(٢) الحجة في القراءات السبع: ٢١٤.
(٣) سورة ق: ١٨.
(٤) سورة الكهف: ٥٠.
(٥) تيسير التفسير للقطان: ٢/ ٣٤٣.

ويحتمل نشر كتابه الذي يلقاه وجهين: أحدهما: تعجيلاً للبشرى بالحسنة، والتوبيخ بالسيئة. الثاني: إظهار عمله من خير أو شر.[١]

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[٢] وقد يكون المقصود من الصحف هاهنا: الكتاب هو الذي كتبه الله تعالى لملائكته في السماء يقرؤون ما فيه ما كان وما يكون.[٣] وقيل: المراد ما كتب الله في قلوب الأولياء من المؤمنين.[٤]

وخلاصة القول: إن أوراق المحكمة الإلهية معروضة منشورة، سواء أكان المعنى أن صاحبها يطلع عليها فقط، أو جميع البشر، أو الملائكة فقط، على خلاف بين المفسرين، فلا مجال للإنكار أو التهرب من التهمة، ولا فرصة لظهور غير الحق في ذلك اليوم الموعود.

المطلب الثاني
الحضور تحت حراسة مشددة

قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾.[٥]

وفي هذا الأمر تتوافق المحكمة الدنيوية مع المحكمة الأخروية، الإلهية؛ فمن يحضر إلى المحكمة الدنيوية من المتهمين، يكون معه حراس ومرافقون، يكون نوعهم وعددهم مرتبطا بنوعية التهمة وخطورتها، أما يوم القيامة، فقد بينت الآية الكريمة أن كل نفس بشرية، يأتي معها شخصان اثنان، أحدهما السائق الذي يسوقها، والثاني الشاهد الذي يشهد لها أو عليها، على خلاف بين العلماء في تفسير المراد من السائق

(١) النكت والعيون للماوردي: ٣/ ٢٣٣.
(٢) سورة التكوير: ١٠.
(٣) ينظر: النكت والعيون- للماوردي ٥/ ٣٧٧، «الجامع لأحكام القرآن- ١٧/ ٥٩.
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٧/ ٥٩.
(٥) سورة ق : ٢١.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

والشهيد، فقد روي عَنْ سيدنا عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَرَأَ: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ فقَالَ: سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وَشَهِيدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِمَا عَمِلَتْ.(١)

وقَالَ بَعْضُهُمْ: السائق: الذي يقبض روحه، والشهيد: الذي يحفظ عمله. وقَالَ آخرون: السائق: هو الملك الذي يكتب عليه سيئاته، والشهيد: هو الذي يكتب حسناته. وقيل أيضا: السائق: هو النار التي تأتي تسوق الكفرة إلى المحشر، والشهيد هو عمله الذي عمل في الدنيا. وفي قول آخر: السائق: الكاتب، والشهيد: جوارحه بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ...﴾ فالسائق: هو ملك يسوق إلى ما أمر من الجنة أو النار، والشهيد هم الملائكة الذين يكتبون علينا الأعمال، فيشهدون في الآخرة: إن كان شرًّا فشر، وإن كان خيرًا فخير، والله أعلم بحقيقة ما أراد، وإن كان ما قالوا فمحتمل، والله أعلم.(٢)

في حين يرى بعض المفسرين أن السائق هاهنا: قرينها من الشياطين، يسوقها. سمي سائقاً، لأنه يتبعها، والشهيد: الملك. ويقال: الشاهد أعضاؤه. ويقال: الليل، والنهار، والبقعة، تشهد عليه.(٣)

وقيل: ملكان أحدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله، أو ملك جامع للوصفين. وقيل السائق كاتب السيئات، والشهيد كاتب الحسنات. وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله.(٤)

وقيل: (الشهداء) الذين يشهدون على الأمم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، كما في قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس) وقيل المراد بالشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله، فيشهدون يوم القيامة لمن

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/ ٣٣٠٨.

(٢) تأويلات أهل السنة للماتريدي: ٩/ ٣٥٧.

(٣) بحر العلوم للسمرقندي: ٣/ ٣٣٥.

(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي: ٥/ ١٤١.

ذب عن دين الله. قاله السدي وقيل هم الحفظة كما قال تعالى: (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) وروي عن ابن عباس أنه قال: النبيون الرسل والشهداء الذين يشهدون لهم بالبلاغ ليس فيهم طعان ولا لعان يشهدون بتبليغ الرسالة وتكذيب الأمم إياهم.(١)

وخلاصة القول: إن كل محكمة يوم القيامة تتميز بالضبط والعدالة والموثوقية، بحيث تحشر كل نفس معها من يسوقها، ومن يشهد عليها، وقد جاء التعبير في الآية الكريمة بالماضي لتحققه الذي صيره يشرف من الوقوع لأنّ كل آت قريب، وما تهيأ أسبابه، ووقعت مقدماته فهو في حكم الواقع.(٢)

المطلب الثالث
استحالة وقوع الظلم

قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾.(٣)

يحصل الظلم كثيرا في محاكم الدنيا، فيحكم القاضي على البريء بالعقوبة أو الحد، ويحكم على المتهم بالبراءة، ويحصل هذا الظلم كثيرا ولأسباب عدة، منها عدم كفاية الأدلة، أو شهادة شهداء الزور، أو خطأ القاضي، أو غيرها من الأسباب، أما المحكمة الإلهية، فالحاكم فيها يستحيل وقوع الظلم منه جل وعلا، يذكر الطبري في تفسيره للآية الكريمة: يقول تعالى ذكره: وما ربك يا محمد بحامل عقوبة ذنب مذنب على غير مكتسبه، بل لا يعاقب أحدا إلا على جرمه الذي اكتسبه في الدنيا، أو على سبب استحقه به منه.(٤)

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن: ١٢/ ١٤٩.
(٢) ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٨/ ٨٧.
(٣) سورة فصلت: ٤٦.
(٤) جامع البيان للطبري: ٢١/ ٤٨٧.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

وقد اتفق المسلمون على أن الله منزه عن الظلم، فقال الأشاعرة وطوائف من أهل الكلام وبعض أهل الحديث: إن الظلم من الله تعالى ممتنع لذاته؛ لأن الظلم التصرف في ملك الغير، أو الخروج عن طاعة من تجب طاعته، وهذان ممتنعان في حق الله تعالى، جاء في الحديث القدسي. ﴿يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا﴾.(١) وإن الله تعالى تمدح بنفي الظلم عن نفسه كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ وقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾.(٢)

فإن قيل: في هذه الآية الله تعالى نفى الظلم عن نفسه، ومن نسب إليه خلق الأفعال ثم استجاز منه العقبة على الذنوب فقد نسب الظلم إليه. قيل: إن له أن يتصرف في ملكه بما يشاء، ومن كان له أن يتصرف في ملكه كما يشاء استحال نسبة الظلم إليه، ولهذا نفى الله -تعالى ذكره- الظلم عن نفسه كيلا يتوهم متوهم أنه مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه له ظالم، فنفي ذلك وقال إنه ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.(٣)

وخلاصة القول: إن المحكمة الإلهية تخلو من الظلم، فالذي يعمل من الصالحات ولو مقدار ذرة، يراها أمامه، ويثاب عليها، والذي يعمل من المعاصي والموبقات مقدار ذرة، يراها أيضا أمامه، من غير زيادة أو نقصان.

المطلب الرابع
عدم وجود جهة دفاع من المحامين

قال تعالى: ﴿* يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾.(٤)

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة، باب: تحريم الظلم.
(٢) غافر: ٣١.
(٣) التفسير البسيط للواحدي: ١٠/ ٢٠٠.
(٤) سورة النحل: ١١١.

جرت العادة في المحاكم البشرية الدنيوية، أن يتصدى محامٍ للدفاع عن المتهمين والموقوفين؛ لجهل القضاة ببعض حيثيات القضايا، أو لغفلتهم عن بعض الأدلة، وهذا الأمر منتفٍ في المحكمة الإلهية، فلا يوجد محامون للدفاع، إذ لا داعي لهم، فالحاكم عارف بالكليات، عالم بالجزئيات - صغيرها وكبيرها - فلا يحتاج إلى من يدافع عن المتهم أو يذكّره بشيء، فهو ﴿مَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.(١)

يذكر الطبري في تفسيره للآية الكريمة أعلاه: يقول تعالى ذكره: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ﴾ تخاصم عن نفسها، وتحتجّ عنها بما أسلفت في الدنيا من خير أو شرّ أو إيمان أو كفر، ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ في الدنيا من طاعة ومعصية ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ يقول: وهم لا يفعل بهم إلا ما يستحقونه ويستوجبونه بما قدّموه من خير أو شرّ، فلا يجزى المحسن إلا بالإحسان ولا المسيء إلا بالذي أسلف.(٢)

فالإنسان هو محام عن نفسه، لا يجد من يدافع عنه، وهو في أشد الأهوال وأعظمها، والآية الكريمة ذكرت أنه ﴿تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ يعني: كل إنسان يخاصم عن نفسه، ويذبُّ عنها، ويقول: نفسي نفسي، وذلك حين زفرت جهنم زفرة، فلا يبقى ملك مقرَّب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه وقال: ربِّ نفسي نفسي، أي: أريد نجاة نفسي، ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ﴾ أي: توفّى كل نفس برة أو فاجرة جزاء ما عملت في دار الدنيا من خير أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا ينقصون من حسناتهم، ولا يُزادون على سيئاتهم.(٣)

(١) سورة يونس: ٦١.

(٢) جامع البيان للطبري: ١٧/ ٣٠٨.

(٣) بحر العلوم للسمرقندي: ٢/ ٢٩٤.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

فغدا كلٌّ مشغول بنفسه، ليس له فراغ إلى غيره، وعزيز عبد لا يشتغل بنفسه، وإنما يكون الفارغ غدا من كان اليوم فارغا، ويجادل عن نفسه من كان له اليوم اهتمام بنفسه، والمؤمن لا نفس له قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ اشتراها الحقّ منهم، وأودعها عندهم، فليس لهم فيها حق، وإنما يراعون فيها أمر الحق.(١)

وقوله تعالى: ﴿تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ يعني تخاصم وتحتج عن نفسها أي بما أسلفت من خير وشر، واشتغلت بالمجادلة لا تتفرغ إلى غيرها. فإن قلت: النفس هي نفس واحدة، وليس لها نفس أخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها؟ قلت: إن النفس قد يراد بها بدن الإنسان، وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس الأولى هي مجموع ذات الإنسان وحقيقته والنفس الثانية، هي بدنه فهي عينها وذاتها أيضا، والمعنى: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته، ولا يهمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين.(٢)

المطلب الخامس
عدم إمكانية التوسط ودفع الرشوة

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾.(٣)

تكثر في أيامنا مسألة الرشوة، وفي كثير من مفاصل الحياة، ولشديد الأسف زحفت هذه الآفة إلى بعض المحاكم، وأصبحت تؤثر على الأحكام التي يصدرها بعض القضاة، إلا أن هذا الأمر مستحيل في محكمة يوم القيامة، قال في بحر العلوم: يعني: يوم القيامة لا ينفع

(١) لطائف الإشارات للقشيري: ٢/ ٣٢٤.
(٢) لباب التأويل للخازن: ٣/ ١٠١.
(٣) سورة الشعراء: ٨٨، ٨٩.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الذي خلفوه في الدنيا، وأما المال الذي أنفقوا في الخير، فإنه ينفعهم، وَلا بَنُونَ يعني: للكفار لأنهم كانوا يقولون: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالًا وَأَوْلاداً﴾[١] فأخبر الله تعالى أنه لا ينفعهم في ذلك اليوم المال ولا البنون، وأما المسلمون فينفعهم المال والبنون، لأن المسلم إذا مات ابنه قبله يكون له ذخراً وأجراً في الجنة، وإن تخلف بعده، فإنه يذكره بصالح دعائه، فينفعه ذلك.[٢]

والقلب السليم: هو السالم عن الشرك، أو السليم عن الآفات والذنوب، والخالص لربه لا يجعل لغيره فيه حقا ولا نصيبا. وشرط فيه إيتاءه ربه ما ذكر؛ ليعلم أنه ما لم يقبض على السلامة والتوحيد لا ينفعه ما كان منه من قبل من الطاعات، إذا لم يقبض على التوحيد؛ وكذلك ذكر في الحسنات الإتيان فقال: من جاء بالحسنة فله كذا، ولم يقل: من عمل بالحسنة، وهو ما ذكرنا أن يخرج من الدنيا على التوحيد، ولا يفسد ما عمل من الحسنات.[٣]

وقيل صاحب (القلب السليم) هو الذي سلم من الضلالة ثم من البدعة ثم من الغفلة ثم من الغيبة ثم من الحجبة ثم من الملاحظة. هذه كلها آفات، والأكابر سلموا منها، والأصاغر امتحنوا بها.[٤]

يقول البيضاوي في تفسير الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي لا ينفعان أحداً إلا مخلصاً سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته، أو لا ينفعان إلا مال من هذا شأنه وبنوه حيث أنفق ماله في سبيل البر، وأرشد بنيه إلى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم أن يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة. وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون أي لا ينفع غنى إلَّا غناه. وقيل منقطع

(١) سورة سبأ: ٣٥.
(٢) بحر العلوم للسمرقندي: ٢/ ٥٥٨.
(٣) تأويلات أهل السنة للماتريدي: ٨/ ٦٦.
(٤) لطائف الإشارات للقشيري: ٣/ ١٥.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

والمعنى لكن سلامة مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ تنفعه.[1]

المطلب السادس
لا يوجد تشابه أسماء

قال تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾.[2]

ينتشر في المطارات العالمية التدقيق الأمني – وكذلك في بعض البلدان غير المستقرة أمنيا – لدى وجود تشابه في اسم الشخص مع شخص آخر مطلوب أمنيا، ويحصل أحيانا الاشتباه بالأسماء في المحاكم والدعاوى القضائية، وهذا الأمر يسبب معاناة كبيرة لمن يقع فيه، إلا أن الأمر مختلف تمام في المحكمة الإلهية، فهو من الأمور المستحيلة الوقوع في محكمة يوم القيامة يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ أي ليس نسيا كملوك الأرض يطلب خدمهم وخولهم وقت سهوهم وحالة غفلتهم، فيقضون حوائجهم وحوائج من يطلب منهم القيام بها، أي: ما كان ربك بالذي يسهو ويغفل كملوك الأرض.[3]

وقد يقول قائل: إن سياق هذه الآية ومعناها: ما كان ناسيا، إذا شاء أن يرسل إليك أرسل،[4] إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فيمكن الاستدلال بهذه الآية الكريمة على أن المحكمة الإلهية يوم القيامة تخلو من الاشتباه أو تشابه الأسماء.

يقول الزمخشري في تفسيره للآية الكريمة: ﴿وما كان ربك نسيا﴾ لأعمال العاملين غافلا عما يجب أن يثابوا به، وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذى ملكوت السماء والأرض وما بينهما؟[5]

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي: ٤/ ١٤٢.
(٢) سورة مريم: ٦٤.
(٣) تأويلات أهل السنة للماتريدي: ٧/ ٢٥٠.
(٤) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي: ٦/ ٢٢٣.
(٥) الكشاف للزمخشري: ٣/ ٣٠.

وقال ابن الجوزي في تفسيرها: عالم بما كان ويكون، لا ينسى شيئا.(١)

﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ أي أن الله تعالى بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لأعمالهم محصي لها فهو يجازيهم بها في الدنيا والآخرة، مثل قوله تعالى: ﴿وما كان ربك نسيا﴾ وفي هذا وعيد لهم وتخويف كبير لينزجروا. فإن قيل: هل يصح أن يوصف الله بأنه ليس بغافل؟ قلنا: قال القاضي: لا يصح لأنه يوهم جواز الغفلة عليه وليس الأمر كذلك لأن نفي الصفة عن الشيء لا يستلزم ثبوت صحتها عليه، بدليل قوله تعالى: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾(٢) ﴿وهو يطعم ولا يطعم﴾(٣) والله أعلم.(٤)

المطلب السابع
استلام الحكم باليد

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾.(٥)

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾.(٦)

مما تنفرد به المحكمة الإلهية يوم القيامة أن كل إنسان يستلم نتيجة محاكمته بيده، فيطلع على الحكم وكافة تفاصيله، وأسبابه ومسبباته، يقول تعالى ذكره: فأما من أعطي كتاب أعماله بيمينه ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾ بأن ينظر في أعماله، فيغفر له سيئها، ويجازى على حسنها.(٧)

ويروى إذا كان يوم القيامةِ عرض الخلق ثلاث عَرَضاتٍ في الاثنين منها

(١) زاد المسير: ٣/ ١٤٠.
(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.
(٣) سورة الأنعام: ١٤.
(٤) مفاتح الغيب للرازي: ٣/ ٥٥٨.
(٥) سورة الحاقة: ١٩.
(٦) سورة الانشقاق: ٧، ٨.
(٧) جامع البيان للطبري: ٢٤/ ٢٣٦.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الاحتجاج والاعتذار والتوبيخ، وفي الثالثةِ تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله. و (هَاؤُمُ) أمر للجماعة بِمَنْزِلَةِ هَاكم، تقول للواحد هَاءَ يَا رَجل وللاثنين، وهَا يا رَجُلاَنِ، وللثلاثة هَاؤُمُ يا رجال، وللمَرْأَةِ هاءِ يا امرأَةُ - بكسر الهمزة - وللاثنين هاؤما وللجَمَاعَةِ النِسَاءِ هَاؤنَّ.[1]

وظاهر ما جرى به الخطاب في القرآن يوجب أن يُرحم المؤمنون جميعًا فلا يعذبون في الآخرة، ويعذب الكافرون ولا يرحمون؛ لأنه قسم الخلق يوم القيامة صنفين: فجعل صنفًا منهم أهل اليمين، وصنفًا أهل الشمال، ثم وصف كل واحد من الصنفين بأعلام ثلاثة: فذكر مرة أنه يخف ميزانهم بقوله: (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ)، وذكر مرة أن وجوههم تسود، وذكر مرة أنهم يعطون كتابهم بشمالهم؛ فهذه الأعلام ذكرها في أحد الصنفين، وذكر في الصنف الثاني، ووصفهم بأعلام ثلاثة: ببياض الوجوه، وبثقل الميزان، وبإعطاء الكتاب بأيمانهم.[2]

وخلاصة القول إن المحكمة الإلهية ليست كالمحاكم البشرية، فتتميز بالشفافية والعدالة وانتفاء الظلم في حقه تعالى، وإمكانية رؤية ورقة الاتهام ونتيجة المحاكمة من أي شخص يدخل هذه المحكمة.

المطلب الثامن
لا توجد أحكام غيابية

قال تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.[3]

في بعض المحاكمات الدنيوية، قد لا يحضر المتهم المحاكمة، لهروبه مثلا، أو لعدم إمكانية حضوره لعارض صحي أو غيره، فيصدر القاضي الحكم غيابيا،

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٢١٧.

(٢) تأويلات أهل السنة للماتريدي: ١٠/ ١٧٨.

(٣) سورة يس: ٣٢.

ويعرّف الحكم الغيابي قانونا بأنه تخلف المتهم عن حضور أمام المحكمة التي بدورها تصدر حكماً غيابياً وغالباً ما يكون بالإدانة أو مشددا حيث أن الحكم الغيابي حكم تمهيدي... يقول تعالى ذكره: وإن كل هذه القرون التي أهلكناها والذين لم نهلكهم وغيرهم عندنا يوم القيامة جميعهم محضرون.(١)

يقول تعالى: ألم يروا ما فعلنا بمن قبلهم من القرون الماضية، وما عاملنا به الأمم الخالية، فلم يرجع إليهم أحد، فكلّهم في قبضة القدرة، ولم يفتنا أحد، ولم يكن لواحد منهم علينا عون ولا مدد، ولا عن حكمنا ملتحد.(٢)

وفي الآية الكريمة قراءتان، يتغير المعنى باختلافهما، فمن قرأ بالتخفيف (لَمَا) فما زائدة مؤكدة، والمعنى إنْ كل لجميع لدينا مُحْضَرُونَ... ويقرأ (لَمَّا) بالتَّشْدِيد ومعنى (لَمَّا) ههنا (ألَّا)، تقول سألتك لَمَّا فعلت.(٣)

فمن قرأ {لَمّا} بتخفيف الميم على أن {وَما} زائدة، واللام هي الفارقة بين النافية والمثبتة والمعنى: أنهم محضرون للحساب والجزاء كما مضى في عدة مواضع. فإن قلت: لم أخبر عن {كُلٌّ} بـ {جَمِيعٌ} ولغتاهما سواء؟ قلت: هما مختلفتان؛ لأن {كُلٌّ} يفيد معنى الإحاطة والشمول، و {جَمِيعٌ} يفيد الاجتماع، والجميع: فعيل، بمعنى مفعول.(٤)

وخلاصة القول: إن جميع الأحكام الإلهية في محكمة يوم القيامة حضورية، لا يستطيع أي إنسان التغيب عن موعد محاكمته، بل ليس ذلك بطاقته البتة.

(١) جامع البيان للطبري: ٢٠/ ٥١٣.
(٢) لطائف الإشارات للقشيري: ٣/ ٢١٥.
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٢٨٦.
(٤) التفسير الكبير للرازي: ٢/ ١٧٧.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

المطلب التاسع
لا يوجد استئناف ونقض

قوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾.[1]

يُعرَّف الاستئناف بأنه طريق طعن عادي في الأحكام الصادرة عن محاكم الدرجة الأولى في الدعوى الجزائية والدعوى المدنية، ويهدف إلى طرح الدعوى على محكمة أعلى درجة لإعادة الفصل فيها، والاستئناف تطبيق لمبدأ التقاضي على درجتين الذي يُعدّ أحد المبادئ الأساسية التي يقوم عليها قانون أصول المحاكمات الجزائية الحديث. وهو من مميزات محاكم الدنيا، إلا أن محكمة يوم القيامة ليس فيها تبديل ولا تغيير، ولا استئناف أو نقض، يقول تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ قد قضيت ما أنا قاض... يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله للمشركين وقرنائهم من الجن يوم القيامة، إذ تبرأ بعضهم من بعض: ما يغير القول الذي قلته لكم في الدنيا، وهو قوله ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾[2] ولا قضائي الذي قضيته فيهم فيها.[3]

وتحتمل هذه الآية وجوهًا: أحدها: ما يبدل ما استحق كل واحد منكم من العذاب والثواب ما سبق مني من الوعد والوعيد في الدنيا بأن أجعل جزاء الكافر الجنة، وجزاء المؤمن النار؛ إذ قد سبق في وعدي ووعيدي بأن أجعل الجنة مثوى المؤمنين، والنار مثوى الكافرين؛ فلا يبدل ذلك الوعد والوعيد. والثاني: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ يحتمل أنه أراد به قوله: ﴿لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ والثالث: أي: لا يبدل اليوم ما يستوجب به الجنة والخلود فيها، وهو الإيمان عن غيب، كما أخبر – عَزَّ وَجَلَّ –: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ

(١) سورة ق: ٢٩.

(٢) سورة هود: ١١٩.

(٣) جامع البيان للطبري: ٢١ ٤٤٢.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ الآية، فأما الإيمان بعد العيان لا ينفع، كما أخبر - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ الآية.(١)

فلا يغير القضاء والحكم الذي حكم به تعالى أبدا، ولا يكذب الوعيد، ﴿وَما أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أي: لا أعذب أحداً بغير ذنب، و ﴿مَا يُبَدَّلُ القول لدى﴾ يعني: لا يغير عن جهته، ولا يحذف منه، ولا يزاد فيه، لأني أعلم كيف ضلوا، وكيف أضللتموهم.(٢)

المطلب العاشر
عدم وجود شهود زور

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾.(٣)

شهادة الزور في القانون: هي افتراء شاهد ما عن طريق رواية أمر يخص قضية جنائية، قد يساند المتهم وقد لا، وعادة ما يكون مستأجر من قبل المتهم وأحيانًا يفعل ذلك بدافع الحقد والكراهية الشديدة، وهو السبب في كثير من الظلم الذي يقع في أحكام القضاة في المحاكم الدنيوية، إلا أن المحكمة الإلهية تخلو يقينا من شهادة الزور وشهود الباطل، فمن يشهد على الإنسان جوارحه وأجزاء جسمه، يقول تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ أي اليوم نطبع على أفواه المشركين، وذلك يوم القيامة ﴿وتكلمنا أيديهم﴾ بما عملوا في الدنيا من معاصي الله ﴿وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ في الدنيا من الآثام قاله أهل التأويل.(٤)

فكأنهم لما أنكروا كفرهم وشركهم وعملهم الذي عملوه في الدنيا؛ كقولهم:

(١) تأويلات أهل السنة للماتريدي: ٩/ ٣٦١.
(٢) بحر العلوم للسمرقندي: ٣/ ٣٣٧.
(٣) سورة يس: ٦٥.
(٤) جامع البيان للطبري: ١٩/ ٤٧٢.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وأمثاله عند ذلك يأذن الله لسائر جوارحهم وأركانهم بالنطق والشهادة عليهم بما عملوا؛ كقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾ ثم أنطق ألسنتهم حتى يعاتبوا الجوارح في شهادتها عليهم بقوله: ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.(١)

وفي كيفية شهادة جوارح الإنسان للمفسرين أربعة أقوال:

أحدها: أن الله يمكنها من الكلام ويجعل لها خِلْقَة تصلح للنطق.

وقيل: المتكلم هو الله سبحانه إلا أنه يسمع من جهتها فنسب إليها.

وقيل: كلامها دلالتها على أفعالها.

وقيل: إن الملائكة الموكلين بأعضاء بني آدم تشهد عليهم.(٢)

وخلاصة القول: إنه لا مفر من الوصول إلى الحقيقة في محكمة يوم القيامة؛ فالشهود أعضاء جسم الإنسان نفسه، والسائق والشهيد موجودون، والحاكم هو رب العزة تعالى.

المطلب الحادي عشر
لا توجد ملفات منسية أو مفقودة

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾.(٣)

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾.(٤)

تعاني المحاكم الدنيوية من فقدان بعض الأدلة، أو ما يطلق عليه في المصطلح القانوني (عدم كفاية الأدلة) فيظلم البريء، ويبرّأ الظالم الجاني، أو قد يغفل القاضي أو المحامي عن بعض

(١) تأويلات أهل السنة للماتريدي: ٨/ ٣٣٥.
(٢) لباب التفسير للكرماني: ٢٣٦٧.
(٣) سورة المجادلة: ٦.
(٤) سورة طه: ٥٢.

الأدلة المتوفرة، لعدم وضوحها، إلا أن هذا الأمر غير موجود في المحكمة الإلهية يوم القيامة، فالحق سبحانه وتعالى مطلع على كل ما يحدث، والملائكة تسجل كل ما تراه وتسمعه من خير أو شر، وتكتبه وتوثقه، يقول تعالى ذكره: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ من قبورهم لموقف القيامة، ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ﴾ الله ﴿بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ يقول تعالى ذكره: أحصى الله ما عملوا، فعدّه عليهم، وأثبته وحفظه، ونسيه عاملوه ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ يقول: ﴿وَاللَّهُ﴾ جل ثناؤه ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ عملوه، وغير ذلك من أمر خلقه ﴿شَهِيدٌ﴾ يعني: شاهد يعلمه ويحيط به، فلا يعزب عنه شيء منه.(١)

وفي وصف حال الحساب وظهور الأدلة واطلاع الجاني عليها، يقول بعض المفسرين: إذا حوسب أحد في القيامة على عمله تصور له ما فعله وتذكّره، حتى كأنه قائم في تلك الحالة عن بساط الزّلّة، فيقع عليه من الخجل والنّدم ما ينسى في جنبه كلّ عقوبة.(٢)

وخلاصة القول: إن كل ما يقوله الإنسان أو يعمله مسجل، ويتم إحضار هذا السجل يوم القيامة أمام الإنسان، ولا يفقد أو ينسى أي عمل أو قول مهما كان صغيرا أو دقيقا، ثم يحاسب عليه ويحصل على الحكم.

المطلب الثاني عشر
ميزان الأعمال دقيق لا يقبل الخطأ

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.(٣)

(١) جامع البيان للطبري: ٢٣/ ٢٣٦.

(٢) لطائف الإشارات للقشيري: ٣/ ٥٥١.

(٣) سورة الأنبياء: ٤٧.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

تعتمد الأحكام الصادرة في المحاكم الدنيوية على مزاجيات القاضي أحيانا، أو هيئة المحلفين تارة أخرى، وفي أحيان كثيرة تؤثر براعة محامي الدفاع أو جهة الادعاء على تغيير حكم القاضي، وتتميز محكمة يوم القيامة بأن الميزان الخاص بأعمال بني آدم دقيق جدا، لا يحتمل الخطأ والزلل، أو الزيادة والنقصان، يقول تعالى ذكره ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ العدل وهو ﴿الْقِسْطَ﴾ وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين، وهو جمع لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر، وقوله ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يقول: لأهل يوم القيامة، ومن ورد على الله في ذلك اليوم من خلقه، وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك إلى ﴿في﴾ كأن معناه عنده: ونضع الموازين القسط في يوم القيامة، وقوله ﴿فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ يقول: فلا يظلم الله نفسا ممن ورد عليه منهم شيئا بأن يعاقبه بذنب لم يعمله أو يبخسه ثواب عمل عمله، وطاعة أطاعه بها، ولكن يجازي المحسن بإحسانه، ولا يعاقب مسيئا إلا بإساءته.[1]

وقوله تعالى: ﴿أتينا بها﴾ أي: أتينا بجزائها، أو أتينا بها، أي: بعينها لا يفوت شيء ولا يغيب عنه. وليس المراد من ذكر (مِثْقَالَ حَبَّةٍ) و (مِثْقَالَ ذَرَّةٍ)، الذرة، والحبة، ولكن ذكر على التمثيل، أي: لا يفوت عنه شيء ولا يغيب ذلك المقدار من الخير والشر غير فائت عنه ولا منسى، ولكن محفوظ محاسب.[2]

ووصفت الْمَوازِينَ بالقسط وهو العدل، مبالغة، كأنها في أنفسها قسط. أو على حذف المضاف، أى: ذوات القسط. واللام في لِيَوْمِ الْقِيامَةِ مثلها في قولك: جئته لخمس ليال خلون من الشهر... فإن قلت: ما المراد بوضع الموازين؟ قلت: فيه قولان، أحدهما: إرصاد الحساب السوىّ، والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنصفة، من غير أن

(١) جامع البيان للطبري: ١٨/ ٤٥١.
(٢) تأويلات أهل السنة للماتريدي: ٧/ ٣٥٠.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

يظلم عباده مثقال ذرّة، فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات. والثاني: أنه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الأعمال. عن الحسن: هو ميزان له كفتان ولسان.(١)

المطلب الثالث عشر
السرعة وعدم التأخير

قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧﴾.(٢)

من الأمور السلبية في محاكم الدنيا، النفَس الطويل، والتأخير المقيت الذي يعاني منه من ينتظر الحكم – براءة أو إدانة – بسبب الإجراءات الرسمية وغير الرسمية التي يجب الالتزام بها المطلوبة رسميا، إلا أن الحال مختلفة في المحكمة الإلهية يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إن الله سريع الحساب﴾ أي إن الله ذو سرعة في محاسبة عباده يومئذ على أعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ ذكر أن ذلك اليوم لا ينتصف حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وقد فرغ من حسابهم، والقضاء بينهم.(٣)

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢﴾(٤) يعني إذا حاسب فحاسبه سريع لا يحتاج إلى عقد يد ولا إلى وعي صدر ولا رؤية ولا فكر. وقال الحسن: (أسرع من لمح البصر). وفي الخبر: أنّ الله تعالى يحاسب العباد في قدر حلب شاة؛ وأن محاسبة الله تعالى ليست كمحاسبة الناس بعضهم لبعض، يحاسبهم جميعا في لحظة واحدة، يظنّ كلّ واحد أنه يحاسبه خاصة، لا يشغله شيء عن شيء. ومعنى الحساب: تعريف الله تعالى عباده مقادير الخير على أعمالهم، وتذكيره إياهم بما قد نسوه. يدلّ عليه

(١) الكشاف للزمخشري: ٣/ ١٢٠.
(٢) سورة غافر: ١٧.
(٣) جامع البيان للطبري: ٢٠/ ٢٩٩.
(٤) سورة الأنعام: ٦٢.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا أَحْصاهُ اللهُ وَنَسُوهُ﴾ وقيل: معناه سريع الحساب؛ أي سريع المجازاة، وفيه إخبار عن سرعة فناء الدنيا وقيام الساعة.(١)

﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الحاسبين﴾ أي: أسرَعُ من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم، وقيل: معناه: يعلم أعمالكم بلا معاناة، ويحصيها بلا حساب ولا عدد، لا تشغله محاسبة أحد عن محاسبة أحد، فذلك غاية السرعة في المحاسبة.(٢)

فالله سبحانه سريع الحساب، لا يحتاج إلى عدٍّ ولا إلى عقدٍ ولا إلى إعمال فكرٍ كما يفعله الحسّاب، ولهذا قال وقوله الحقّ: ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ فالله عز وجل عالمٌ بما للعباد وعليهم فلا يحتاج إلى تذكر وتأمل، إذا قد علم ما للحاسب وعليه، لأنّ الفائدة في الحساب علم حقيقته. وقيل: سريع المجازاة للعباد بأعمالهم.

وقيل: المعنى لا يشغله شأنٌ عن شأنٍ، فيحاسبهم في حالةٍ واحدةٍ، كما قال وقوله الحقّ:﴾ ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلّا كنفسٍ واحدةٍ﴾ قال الحسن: حسابه أسرع من لمح البصر، وفي الخبر﴾ إنّ الله يحاسب في قدر حلب شاةٍ﴾. وقيل: هو أنّه إذا حاسب واحدًا فقد حاسب جميع الخلق. وقيل لعليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه كيف يحاسب الله العباد في يومٍ؟ قال كما يرزقهم في يومٍ!(٣)

وخلاصة القول: إن محكمة يوم القيامة سريعة جدا، قياسا مع أعداد الخلائق الهائلة، من سيدنا آدم إلى يوم القيامة.

(١) تفسير القرآن العظيم للطبراني: ١/ ٣٥٠.
(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣/ ٢٠٥٢.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢/ ٤٣٥.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الخاتمة

الحمد لله أولا وآخرا، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فقد جرت العادة أن يلخص الباحثون أهم النتائج التي يتوصلون إليها في نهاية كل بحث، وبناء على ذلك، يمكن القول إن البحث توصل إلى النتائج الآتية:

- تتميز محكمة يوم القيامة بعدم سريّة ملفات الاتهام أو البراءة، واطلاع صاحبها على الملف كاملا، في كتاب يلقاه منشورا، ويتلقاه بيمينه أو شماله حسب رجحان أعماله.
- تشابه محكمة يوم القيامة محكمة الدنيا بوجه من الوجوه، مع فرق الكيف والكم بأن الحضور إلى المحكمة يتم تحت حراسة مشددة، فكل إنسان يوم القيامة يأتي إلى المحكمة الإلهية ومعه سائق يسوقه، وشهيد يشهد عليه.
- تتميز المحكمة الإلهية يوم القيامة باستحالة وقوع الظلم، فالعدل ميزتها، والعدل من أسمائه تعالى.
- تختلف محكمة يوم القيامة عن محكمة الدنيا بعدم وجود جهة دفاع من المحامين، فكل إنسان هو يدافع عن نفسه، ويتولى أمرها.
- تتميز المحكمة الإلهية بعدم إمكانية التوسط أو دفع الرشوة، فلا المال يفيد ولا الذرية يشفعون.
- تتميز محكمة يوم القيامة بأنه لا يوجد تشابه أسماء، ولا يؤخذ أحد بجريرة غيره عن طريق الخطأ بسبب الاشتباه أو الإشكال، كما يحدث عندنا في الدنيا في بعض البلدان.
- تتميز المحكمة الإلهية بأن المحاكَم يستلم الحكم بيده، ويطلع على كافة تفاصيله، وأسباب الحكم.
- كما تتميز المحكمة الإلهية بأنه لا توجد أحكام غيابية، فالكل حضور بين يدي الله تعالى، بلا استثناء أو تأخير.
- وتتميز محكمة يوم القيامة بأنه لا يوجد استئناف للحكم ولا تمييز ولا

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

نقض، فالأحكام الصادرة تأخذ الشكل القطعي مباشرة.

- وتتميز محكمة العدل الإلهي بعدم وجود شهود زور، فلا شاهد من البشر يشهد على آخر؛ بسبب انشغال كل البشر بالحساب، بل الشهود هم أعضاء الإنسان وجوارحه، من الأيدي والأرجل.
- تتميز المحكمة الإلهية عن محاكم الدنيا بعدم وجود ملفات منسية أو مفقودة، فكل ما اقترفه الإنسان من شر، أو فعله من خير، مثبت، مكتوب، مسجل في سجله الخاص.
- كما تتميز محكمة يوم القيامة بأن ميزان الأعمال دقيق لا يقبل الخطأ ولا الزلل، فكل إنسان يأخذ الحكم الذي يستحقه بناء على أعماله خيرا كانت أو شرا.
- كما أن مما تتميز به محكمة يوم القيامة بالسرعة وعدم التأخير، فالمحاكمة لا تأخذ وقتا طويلا مثل المحاكم الدنيوية، بل إن القائم عليها والحاكم فيها هو رب العزة جل جلاله، وهو أسرع الحاسبين

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ

٢. بحر العلوم: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار الفكر – بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي، د.ت.

٣. تأويلات أهل السنة: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م

٤. التَّفْسِيرُ البَسِيْط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.، ط١، ١٤٣٠ هـ

٥. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩ هـ

٦. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى

٧. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٨. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب - القاهرة، د.ت.

٩. حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت ١٠٦٩هـ) دار صادر - بيروت، د.ت.

١٠. الحجة في القراءات السبع: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ) تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، دار الشروق - بيروت، ط٤، ١٤٠١ هـ

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

١١. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ

١٢. السبعة في القراءات: لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، دار المعارف – مصر – ١٤٠٠هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: شوقي ضيف

١٣. فتحُ البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

١٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، د.ت.

١٥. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م

١٦. لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ

١٧. لطائف الإشارات = تفسير القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط٣

١٨. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت

١٩. معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٢٠. النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان

٢١. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

ISSN: 2075 - 2954 (Print)